فى حرب الحسن والحسين :

هل تحتاج إيران والعراق إلى "كامب دافيد" أخرى

أنيس منصور

لا توجد طرق كثيرة للحرب . هناك طريقة واحدة هى : أن تغزو .

وبعد أن تغزو يجب أن تفكر فى نهاية الحرب . وليس أصعب من بداية الحرب إلا نهايتها . ولا توجد طريقة أفضل لإنهاء الحرب إلا بأن يعلن أحد الطرفين أنه انهزم . فهل تعلن إيران ذلك ويبادر العراق ؟ .. ليس بهذه السرعة . فالهدف من الحرب لم يتحقق بعد . لأنه لا توجد حرب ليست بسبب أزمة مستحكمة ، أو لا تؤدى إلى ذلك . والأزمة موجودة فى إيران . وقائمة فى العراق . والحسابات قديمة بين الدولة الفارسية والدولة العربية . وكلتاهما مسلمتان ..

والحروب بين الدول الصغرى ، كالحروب بين الدول العظمى . ليس فيها غالب أو مغلوب . إنما الضحايا على الجانبين هى الواقع المؤكد . وأولى ضحايا الحروب عادة : الحقيقة . ولذلك تكثر الأكاذيب فى أسباب الحروب ودوافعها وسيرها ونتائجها . وأول ما يعتاده المتحاربون : هو استطعام الكذب والهوس والتعطش إلى الدم والمناداة بالثأر . وبعد سنوات يتساءل المؤرخون : ولماذا كانت هذه الحرب ؟ ولا يجيب عن هذا السؤال عادة أحد . لأن الذين أشعلوها ماتوا وراحوا ضحاياها .. ولم يعودوا قادرين على الكلام . وبذلك تختفى الحروب كما بدأت فى غيار من الاجتهادات .

ولم تعرف الإنسانية فى تاريخها إلا حربا واحدة كان لها هدف واضح : إنها حرب طروادة . فقد كانت من أجل إنقاذ فتاة جميلة اسمها هيلين – حتى هذه الحرب كانت أسطورية ! ..

ولكن أقرب التفسيرات إلى العقل أنه بعد اختفاء شاه إيران لابد ان يكون للخليج سيد يحميه أو يحكمه . وقد حاول الإمام الخومينى أن يكون ذلك الشاه ، وأن يضع العمامة السوداء فى مكان الطاووس ، واستقرت العمامة السوداء والبيضاء على رءوس كثيرة .. وهددت بضياع النيجان فى الخليج أيضا .. وأشعلت الحماسة الدينية والتعصب فى كل مكان ..

ولكن الإمام الخومينى . أضاع الكسب العظيم الذى تحقق له . فبنفس الحماسة التى خرج بها على الشاه خرج أيضا عن الإسلام . فقد أثار قضية قديمة فى العالم كله : ما هو الإسلام ؟ فصدرت كتب كثيرة تشبع حب الغرب لمعرفة الإسلام الذى أبدع الخومينى . وحاول المؤرخون والعسكريون ورجال الدين أن يجدوا شيئا مماثلا لما فعله الخومينى .. وهل صحيح أن الخومينى هو بداية النهضة الدينية فى العالم كله . وهل ظهور الخومينى يدل على أن الإسلام لم يكمل ١٤ قرنا إنما بلغ ١٤ سنة من الشباب والحيوية . حتى إن شيخا فى الثمانين استطاع أن يفعل ما عجز عنه ملايين الشبان فى كل مكان . ولكن الإمام الخومينى قد وفر على العلماء والباحثين أن يذهبوا إلى أبعد من النقيب فى تاريخ الإسلام . فقد سد عليهم الباب عندما تخضبت يداه بالدم وامتلأت بلاده بالجياع والمشردين بلا قضية ..

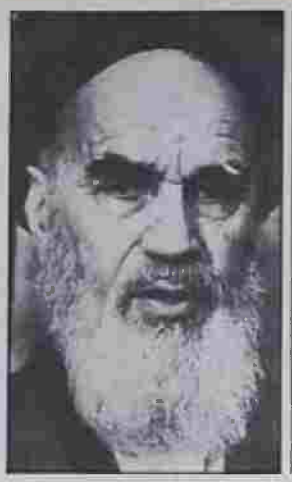

الإمام الخميني

صدام حسين

ولم يعد الناس يتساءلون : ما هو الإسلام إنما يتساءلون : ما هذا الإسلام الذى يؤمن به الخومينى ، ثم يدينه ويشينه أيضا ؟ . .

أما العراق فهو أيضا يريد أن يكون سيد الخليج بعد اختفاء الشاه الذى كان له جيش هو الثالث فى العالم كله . . هذا الجيش الذى أعده الشاه ليوقف النزاعات والخرقات الداخلية ، والتوسع فى الخليج الفارسى ، وذلك بأن يسيطر تماما على الإمارات الصغيرة ذات مئات الألوف من الإيرانيين والشيعة والذين يدينون بالولاء للشاهنشاه آريا مهرى محمد رضا بهلوى يرحمه الله . . وإذا كانت إيران فارسية مسلمة ، فإن العراق عربى مسلم والعراق غنى وقوى . وله مطالب ومطامع ليست فى الخليج وحده ولكن فى العالم العربى كله . . وإذا كان العراق لم يفلح فى أن يسيطر على سوريا التى تشاركه المذهب السياسى البعثى ، فإنه قادر على أن يتجه إلى الناحية الأخرى . ويزداد قوة واقتدارا على إسقاط الرئيس الأسد وتوحيد جناحى البعث فى العراق وسوريا . . ولكى يصبح العراق قادرا على ذلك كان لابد أن يرفض الحزب الشيوعى . وأن يحاكم الشيوعيين ويستأصلهم أيا كانوا ، وفى ذلك أمان للسعودية وإمارات البترول الغنية . وبذلك يتجمعون تحت المظلة الأمريكية فى المنطقة . .

وإذا كانت أمريكا لا تستطيع أن تساعد العراق إلا بحساب ، فإن فرنسا تستطيع ذلك بدون حساب ، فكل ما ترفضه أمريكا تسارع فرنسا بالوفاء به ، وكل ما تقدمه روسيا للعراق ، يبادر العراق فيعلن أنه من أجل القضاء على التدخل الإيرانى فى الشئون الداخلية للعراق . وفى ذلك إرضاء للسعودية التى لا تريد إيران أن تتدخل فى شئونها الداخلية : أى بعدائها للنظام الملكى وللمذهب الوهابى السنى ! . .

وكان الشاه قد اتفق مع العراق فى سنة ١٩٧٥ على أن يرفع يده عن مساعدة الانفصاليين الأكراد السنيين ، وفعل ذلك . وكافأه العراق على ذلك بإعطائه نصيبه من المرور فى شط العرب (٧٥ ميلا) ملتقى نهرى الدجلة والفرات . كما أعطاه العراق أرضا على الحدود . وبذلك تم الصلح بين ايران والعراق ، وكانت أفراح البهجة تعم البلدين . لأن كلا منهما قد حقق إنجازا عظيما . . هذا الانجاز هو ألا تكون حرب بين إيران (٥٣ مليون نسمة) والعراق (١٣ مليون نسمة) . وكذلكما من أغنى دول البترول فى العالم . .

أما الخومينى فلن ينسى أنه أقام طويلا فى العراق . وأن ابنه قد قتل فى العراق بالاتفاق مع الشاه . وقد أنكر الشاه فى حديثى معه أنه هو الذى قتل ابن الإمام ، ثم إن العراق هو الذى طرد الإمام إلى فرنسا . وكان الشاه هو الذى طلب إلى فرنسا ذلك ، ليكون تحت رقابته . ولم يفلح . والرئيس الفرنسى ديستان هو الذى طلب من الرئيس الأمريكى أن يسارع بطرد الشاه والاعتراف بالخومينى . ولاينسى الخومينى أيضا أن العراق يساعد المنشقين على إيران والطاردين والمهاجرين . وبمدهم بالمال والسلاح . وأن العراق يساعد العرب فى إيران على الانفصال والاستقلال . .

أما العراق فيرى أن الإمام مايزال يساعد الشيعة على التمرد على الحكومة العراقية السنية . وقد كشف العراق أسلحة وأموالا ومنشورات سرية وإذاعات متنقلة موجهة إلى الشيعة . .

ثم إن العراق قد استفاد من الفرصة التى أتيحت له لتجريب جيشه القوى : ٢٠٠ ألف جندى وأربع فرق مشاة وأربع فرق مدرعة وفرقتان ميكانيكيتان و ٢٧٠٠ دبابة طراز ت ٥٤ و ٥٥ و ٦٢ سوفيتية و ١٠٠ دبابة فرنسية إم إكس حصل عليها العراق بمقتضى اتفاقية مع فرنسا سنة ١٩٧٦ و ٧٢ طائرة ميراج وصواريخ فرنسية جو – جو، وجو-أرض و ١٧٠٠ مصفحة و ٣٥٠ طائرة مقاتلة روسية و ٣٠ زورقا حربيا فى شط العرب . .

والجيش العراقى يدين بالعقيدة البريطانية رغم السلاح السوفيتى الذى يحصل عليه بسهولة . ولكن السوفيت يخافون أن يتكرر فى العراق ماحدث فى مصر عندما اتجهت مصر إلى أمريكا والغرب بسبب التضييق على مصر فى الأسلحة وقطع الغيار . .

أما إيران فلديها أسلحة أمريكية متطورة جدا . ولكن هذه الأسلحة تنقصها قطع الغيار . وينقصها المدربون الأمريكان . وكان الجيش مرتبطا بالشاه شخصيا ولكنه فى آخر أيامه كما اعترف لى فى الحديث الذى نشرته قبل وفاته ، أنه لم يكن يستطيع أن يحرك طائرة من موقعها إلا بأمر من أمريكا ! . .

وكان ذلك أيضاً ردا على تساؤل من الرئيس السادات : ولماذا لاتأمر سلاح الطيران بأن يغادر البلاد ويأوى إلى مصر لتستخدمه عند الضرورة ؟ ! . .

والجيش الإيرانى ٤٠٠ ألف جندى و ٨٧٥ دبابة من طراز شيفتن ، ثلثها معطل تماما . . وهناك صواريخ مضادة للدبابات و ٤٠٠ طائرة فانتوم وطائرات أخرى مقاتلة وقاذفات قنابل واعتراضية واستطلاع . . وتوجد قوات إيرانية فى أماكن متفرقة من إيران منضبطة ومجهزة تجهيزا كاملا . وتحتاج إلى وقت لنقلها إلى الحدود . . وفى نفس الوقت هناك خوف من تحريكها حتى لاتقع فتنة داخلية ، أو انقلاب عسكرى بعد أن فشلت محاولات كثيرة للإطاحة بالإمام الخومينى . ولكن القوات البحرية مازالت سليمة تماما ، لأنها كانت بعيدة عن التدخل والنزاعات على السلطة فى الجيش الإيرانى .

فى حرب الحسن والحسين : هل تحتاج إيران والعراق إلى "كامب دافيد" أخرى

حافظ الأسد

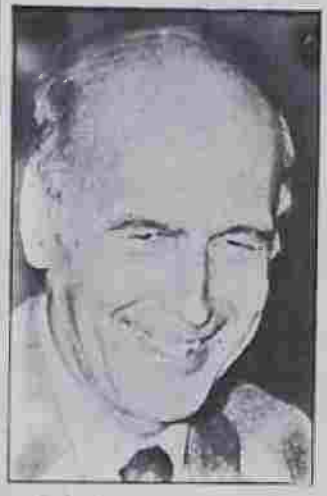

جيسكار ديستان

وهذا أول « امتحان للقبول » لإيران والعراق أيهما يستطيع أن يكون سيد الخليج . وبعده سيد العالم العربى . .

أما دول الخليج فهى ترقب فى صمت . أو تحاول أن تؤيد فى سرية تماما . ومن المؤكد أنها لاتتمنى لإيران أن تنتصر ولاتتمنى للعراق أيضا . ولكن تتطلع إلى التدخل الأمريكى أو الأوربى ليوقف هذه الحرب ، وليوقف التدخل السوفيتى . ومن الواضح أنه ليس من آمال العراق أن تستولى على إيران ، ولا إيران أن تستولى على العراق . فليس الخطر من إحدى الدولتين . إنما الخطر من داخل الدولتين . . وكذلك الخطر على دول الخليج من داخلها وليس من خارجها . ولذلك فأمريكا المرتبطة بكل دول البترول . يجب أن تفعل شيئا غير التهديد والتردد فى التهديد خوفا من السوفيت وخوفا من المعركة الانتخابية . .

وقد اختارت أمريكا الحد الأدنى من الخطأ والخطر فى مواجهة الموقف فى الخليج . فأعلنت فى يناير الماضى – وكان تهويشا – أنها سوف تحمى آبار البترول . وعادت فكررت ذلك منذ أيام . فأدانت أمريكا نفسها فى أول

جيمى كارتر

رونالد ريجان

لحظة . إذ صرحت بأن كل مايربطها بهذه المنطقة هو البترول المتدفق منها : فلا سياسة ولاصداقة ولاحرية ولا الوقوف معا ضد السوفيت ولاحقوق الإنسان ولا الاستقرار . .

كما أن موقف أمريكا من شاه إيران قد أساء لها فى العالم كله . فقد كان الشاه أعز أصدقائها . فخلت عنه . بل ساعدت على إسقاطه . فالشاه صديق نموذجى . وموقف أمريكا نموذجى أيضا . والنتيجة : لاصديق لها ولا أمان معها ! . .

وطبيعى جدا أن تفزع كل دول البترول التى ترتبط بأمريكا ماليا وأدبيا واستراتيجيا ومذهبيا . . .

وبدأ الدبلوماسيون الأمريكان فى الشرق الأوسط ينصحون حكوماتهم التى لم تفهم ايران . ولم تبادر بعمل شىء لإنقاذ الشاه أو إنقاذ إيران من الخومينى

وكل مافعلته أمريكا هو أنها كانت تزود الشاه بالغاز المسيل للدموع . . ستة شهور حتى سالت دموع الملايين فى إيران . ثم توقفت عن تصدير غاز الدموع . فحبس الشاه عشرات الألوف فى السجون . . ولما أرسلت له أمريكا مزيدا من الغاز أطلقهم الشاه فى الشوارع . . وكانت هذه واحدة من أخطائه المميتة . حتى جفت الدموع ولم تبق إلا دمعة واحدة فى عينى الشاه ! . .

واحتجزت إيران خمسين رهينة أمريكية . وجمدت أمريكا أموال إيران وحاصرتها بحريا . وحاولت فى عملية عسكرية رائعة أن تستخلص الرهائن . وفشلت . وكان فشلها فضيحة كبرى لأمريكا . ودليلا على عجزها الفاضح الأنيق فى عمل شىء رغم قوتها وقدرتها . وجاء ذلك برهانا جديدا على أن الدول العظمى ليست عظمى فى كل شىء . وأن الدول الصغرى ليست صغرى دائما ! . .

واتخذت أمريكا ١٥ قاعدة بحرية وجوية وبرية فى الصومال وجيبوتى وعمان . وحصلت على تسهيلات عسكرية فى مصر لمواجهة أخطار وأعطاء المستقبل فى الشرق الأوسط . وأعدت لذلك جيشا من ربع مليون جندى يتكلف عشرين بليون دولار فى خمس سنوات . وجعلت هذه القوات اسم

قوات الانتشار السريع ، لمواجهة أى تدخل سوفيتى . فهل استطاعت شيئا عندما تدخل السوفيت فى أفغانستان واليمن الجنوبية وأثيوبيا وليبيا ؟ ! . .

إنها عقدة فيتنام – أى الحرب فى فيتنام بقوانها ثم هزيمتها رغم جبروتها العلمى فى الحرب . وأصبحت أمريكا ترى فيتنام فى كل مكان . أى ترى هزيمتها فى كل معركة . ولذلك ظلت أمريكا على سياسة استغرقت ثلاثين عاما هى : أن تهدد بالقوة دون استخدامها .

والوضع عجيب الآن : إيران أسلحتها أمريكية ولن تلق قطع غيار من أمريكا حتى لو أفرجت عن الرهائن . لأن أمريكا وراء الغزو العراقى المدعم بالسلاح السوفيتى . .

ولأن السوفيت يؤيدون الرئيس كارتر ضد ريجان الذى ينادى بالحرب . فإنهم يضغطون على إيران للإفراج عن الرهائن . وفى نفس الوقت فإن السوفيت ضد المد الدينى الذى أشاعه الخومينى فى الولايات الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى . . وسوف يمضى السوفيت فى إمداد العراق بالسلاح . رغم مذابح الشيوعيين فى العراق . .

أما الاتحاد السوفيتى فقد غير أسلوبه التقليدى . وذلك بسبب عقدة فيتنام الأمريكية . فإذا كان الأمريكان لايحاربون مباشرة . فالروس يحاربون مباشرة فى أفغانستان . وقبل ذلك فى المجر وتشكوسلوفاكيا – أى أنهم يحاربون فى الدول التى يحتلونها وفى الدول التى تقع على حدود السوفيت . ولا يهمهم كثيرا أسطورة « الوفاق » أى عدم اللجوء إلى المواجهة العسكرية لأى سبب . . وقد أدى ذلك إلى أن دخلت قوات شيوعية كوبية وألمانية شرقية إلى أفريقيا وإلى آسيا بالسلاح السوفيتى دون أن تملك لهم أمريكا شيئا . . إلا حق الاعتراض . وقد اعتاد العالم على الاعتراض الأمريكى . والاحتقار السوفيتى لذلك . وليس أمام أصدقاء أمريكا إلا أن يمضغوا حبة الأمل ! . .

ومنذ ثلاث سنوات حاول الرئيس السادات أن يقنع الأكونجرس الأمريكى والادارة الأمريكية بالمد السوفيتى فى آسيا وأفريقيا . ولكن الأمريكان لايريدون . فقد عقدت ألسنتهم « عقدة » فيتنام . ولابد أنهم سعداء بإضافتهم عقدة جديدة فى « قاموس علم النفس » إلى عقدتى أوديب والكترا . . وبذلك يتأكد للعالم أن الشعب الأمريكى طفل لم يستطع أن يتغلب على مخاوفه فى الثلاثين عاما . ولذلك أقبل الناخبون على المرشح ريجان لأنه يريد أن يبنى هيبة أمريكا على هيبتها فى العالم كله – وفى الشرق الأوسط بصفة خاصة . وفى الخليج بصفة أخص !.

❧❧❧

وسوف تفلح الوساطة فى وقف إطلاق النار بين دولتين بتروليتين اسلاميتين . .

ولكن ماالذى كشفته هذه الحرب لنا وهم ؟ إن هذه الحرب فى لغة العرب مثل كبشين تناطحا – فقط . دون أن يحقق ذلك أمام قطيع الأغنام شيئا جديدا .

ولكن المعنى الذى وضح لنا الآن هو : أن الشرق الأوسط يذكرنا بما كانت عليه دول البلقان بعد الحرب العالمية الأولى . ودول أمريكا اللاتينية بعد الحرب العالمية الثانية . فلا توجد دولتان متجاورتان لايجمع بينهما الخوف والتربص والرغبة فى الانتقام . . فهى دول صغيرة يثور بعضها على بعض . . وتسكت دون سلام ولاتجنى من ذلك شيئا . وأمامك خريطة الشرق العربى : تمزق وخلافات وصراع . ثم هذه الوحدة التى كانت تجمع بينها : إنها وحدة الدموع والدماء بلا قضية !..

❧❧❧

مرة واحدة يوم ٧ ديسمبر سنة ١٩٤١ أحس الأمريكان بالعار القومى . . وانتقموا لذلك . . يوم أغرقت اليابان الأسطول الأمريكى فى بيرل هاربور . بجزر هاواى !..

ومرة واحدة استعرضت أمريكا واكدت للسوفيت أنها قادرة على الذهاب إلى أى مكان بمنتهى الحزم والحسم : عندما توفى السفير التركى بالولايات المتحدة محمد منير ارجين يوم ١١ نوفمبر سنة ١٩٤٤ . وقد نقلته « ميسورى » أقوى قطعة بحرية يوم ٢٢ مارس مارة بجبل طارق لتتوقف لحظة ليضع الحاكم البريطانى إكليلا من الغار على نعش الفقيد . ودخلت ميسورى وورامها قطع الأسطول الأمريكى مضيق الدردنيل ، ولتكون الموضوع الرئيسى فى الصحف التركية والفقرة الأولى فى الإذاعات العالمية . . يومها أكد الأمريكان أن ذراعهم طويلة ، وأنها قوية أيضا . . قادرة على نقل الموت إلى أى مكان مهما كان قريبا من السوفيت . .

وبعد ذلك مانراه ونعرفه الآن : الخوف من أية فيتنام أخرى ؟ !

❧❧❧

وإذا ذهب أحد فى وساطته بين العراق وإيران ، وهما دولتان إسلاميتان . إلى محاولة لعقد صلح بينهما ، فهى فرصتنا لنرى كيف تكون المفاوضات والجلوس معا من أجل الأمن ومن أجل الحكم الذاتى للشعوب العربية فى إيران والكردية والفارسية فى العراق وبقية القوميات الأخرى . .

وهل هى أمريكا أو روسيا القادرة على أن يكون سلام فى الخليج بين الحسن والحسين . . الحسن بنى صدر وصدام حسين !

وسوف يجد الجميع أن لابد من اتفاقية « كامب دافيد » أخرى أو اتفاقية جنيف أو اتفاقية الكرملين أو اتفاقية الأليزيه بين الفرس والعرب ، لامن أجل سلام الخليج فقط ، ولكن من أجل أن يتدفق البترول إلى الدول الغربية مارا بالمضايق الحيوية : هرمز وباب المندب وقناة السويس والدردنيل وقناة بنما . .

فهل يقتنع العرب بأنه من أجل السلام لابد من الاتفاق على الحوار . . ولا حوار مباشرا بلا مواجهة . ولا مواجهة بلا صعوبات ولاصعوبات بلا أمل فى التغلب عليها من أجل مزيد من الحوار . . حتى يتحقق السلام بين كل الدول العربية الإسلامية المتجاورة فى لبنان وسوريا والعراق والكويت وإيران والجزائر والمغرب وليبيا وتشاد واليمن واليمن !

ومصر لم تنفرد بالفكر كله ، وبالواقعية جميعها . . ولكن عندنا الشجاعة فقط فى أن نعترف بالمحاولة والخطأ ، ومن حقنا إذا نجحنا أن نفخر بذلك ومن حقهم أيضاً !

□